

ديوان الصحافة

الإباضية (١)

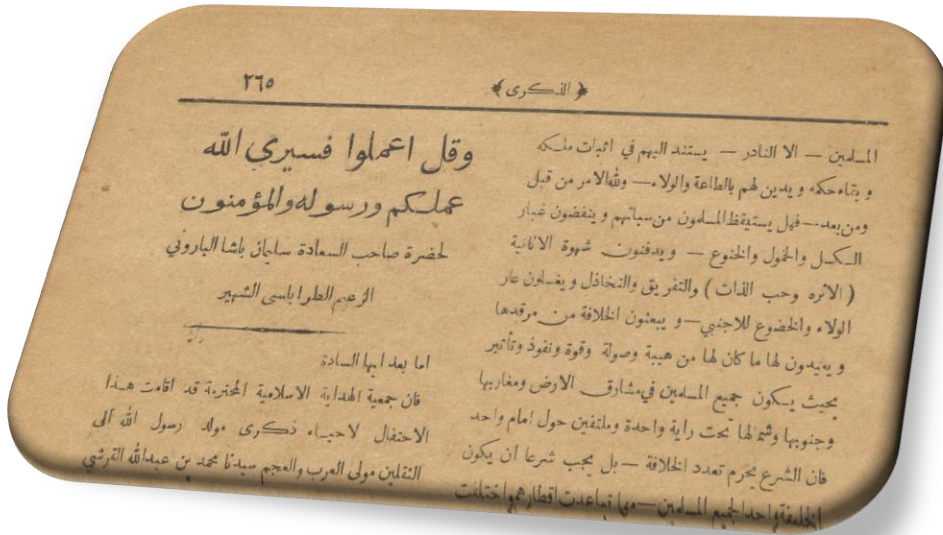
محبوب

الإصدار الثالث عشر بعد المئة

وقل اعملوا

فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

بقلم: سليمان بن عبد الله الباروني سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م



استخرجه وقدم له:

سُلْطَانُ بْنُ مُبَارَكٍ بْنُ حَمْدِ الشَّيْبَانِيِّ

سلسلة: ديوان الصحافة الإباحية

الحلقة الأولى

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

بقلم: سليمان بن عبد الله الباروني سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرقمية الأولى

ربيع الأول ١٤٤٧هـ / سبتمبر (أيلول) ٢٠٢٥م

محبوب

محبوب للنشر الرقمي

مسقط / سلطنة عُمان

البريد الإلكتروني:

mahboub.pd@gmail.com

وقل اعملوا

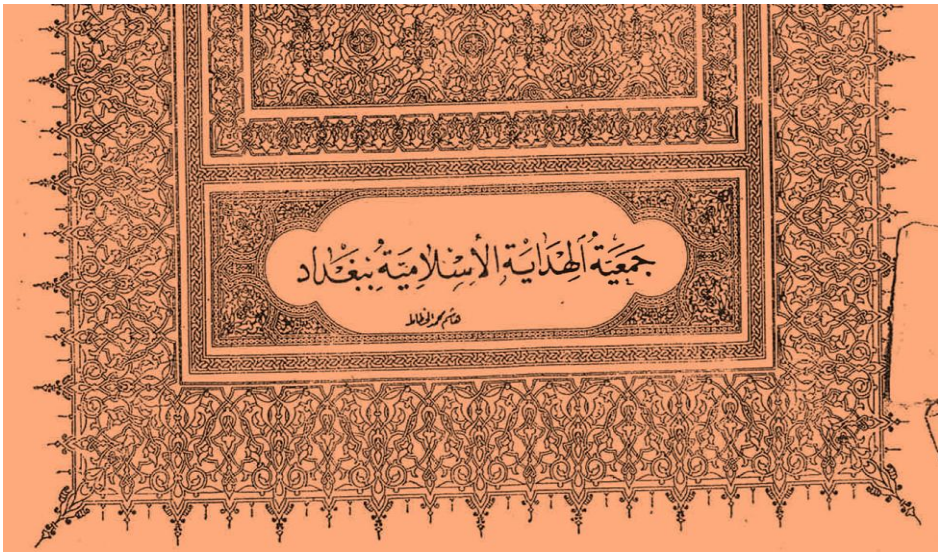
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

بقلم: سليمان بن عبد الله الباروني سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،
وعلى آله وصحبه ومن والاه

• بين يدي المقالة:

دأبت جمعية الهداية الإسلامية في بغداد منذ تأسيسها سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٩م على إحياء ذكرى مولد النبي الكريم ﷺ، ثم ارتأت أن تُخصّص عدد مجلتها (الهداية) الصادر في ربيع الأول من كل عام لهذه المناسبة، فكانت تستكتب جمهرة من العلماء الأعلام والكتّاب الأفاضل في سائر البلدان؛ بما تجود به قرائهم، وتُصدِر عددًا خاصًا مُميّزًا.





كان يرأس تحرير مجلة (الهداية): محمد كمال الدين الطائي (ت) الجمعة ٢٦ شعبان ١٣٩٧هـ / ١٢ أغسطس ١٩٧٧م^(١)، وهو آنذاك شاب متوقد حماساً وعزيمة لم يبلغ الثلاثين بعد، وقد راسل في موسم عام ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م

^(١) انظر عنه: الحاج كمال الدين الطائي رائد الصحافة الإسلامية في العراق؛ بقلم: عبد الله بن أحمد الجبوري. مقال منشور في مجلة (عالم الكتب) الصادرة عن دار ثقيف في المملكة العربية السعودية؛ المجلد الثالث (رجب ١٤٠٢هـ / إبريل ١٩٨٢م)، العدد الأول، ص ١١ فيها بعدها.

- في جُمْلَةٍ مَنْ راسله - الزعيم الليبي الكبير سليمان بن عبد الله الباروني (ت ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م)، فلبّي طلبه بحضور شخصه في حفلة المولد ببغداد، واقتدى به ابنه الكاتب الشاب المغمور: إبراهيم بن سليمان الباروني، فكتب مقالة أخرى، نُشرت في عدد ذلك العام.



تَضَمَّنَ عددُ ذلك العام كلماتٍ ومقالاتٍ لفرسان القلم في العالم الإسلامي؛ كمصطفى صادق الرافعي، وعبد الوهاب عزام، ومحمد بنخيت المطيعي، ومحمد عبد الله عنان، وعباس العزاوي، ومصطفى الغلاييني،

وأكرم زعيترو، وطه الراوي، ونعمان الأعظمي، وسليمان الندوي، وموسى جار الله التركي، ومحمد تقي الدين الهلالي، ومحمد المأمون النيفر، مع لفيف من قصائد الشعراء.

وكان سليمان الباروني في تلك المدة يتردد بين عُمان والعراق، بعد أن ضاقت عليه الأرض، بسبب تكالب دُول الغرب عليه، وسقوط الخلافة العثمانية، ومنعه من دخول عددٍ من الدول. ف قضى السبع عشرة سنةً الأخيرة من حياته أكثرها في عُمان، مع سيرةٍ وجيئةٍ إلى العراق.

والباروني أشهر من أن يُعرف به، وهو - بإيجازٍ وإجمالٍ - سليمان بن عبد الله بن يَحْيَى البارُونِي (وُلِدَ: ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م - توفي: ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م) زعيمٌ سياسي، ومؤرِّخٌ أديبٌ.

وُلِدَ في جَبَل نفوسة بليبيا. أخذ العِلْمَ عن أبيه الشيخ عبد الله بن يَحْيَى البارُونِي (ت ١٣٣١هـ / ١٩١٣م) ودرّس في جامع الزيتونة بتونس ابتداءً من سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م، ثُمَّ في الأزهر بِمِصْر منذ عام ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م ثم تعمّق في العلوم الشرعيّة في معهد قطب الأئمة الشيخ أحمد بن يوسف أطفيش (ت ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) بالجزائر سنة ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م.

دخل مُعْتَرَك السياسة في عِزِّ شبابه، واختير لِمَنْصِبِ «عضو مَجْلِس المبعوثان» في الآستانة عاصمة الدولة العُثمانية مُمثلاً عن ليبيا، وقاوم الاستعمار الإيطالي لبلاده، وأنشأ جيشاً نظامياً لمواجهة سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م. وانتُخبَ رئيساً لجمهورية طرابلس التي تأسست سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م.

حاولت الدول الأوروبية استمالته فلم تُفْلِحْ، وَجَرَّتْ عليه رؤاه السياسية ونضاله الثابت حَقَّقَ المستعمرين فضايقوه أينما حَلَّ، وشكا من كثرة وشايات الحُساد عليه، وتَحَاذُلِ دول العالم العربي والإسلامي عن نصرته، وقاسى وعانى حتى قيل فيه: «لو كانت النوائِبُ تُذِيبُ العُمر لأذابته». وفيه يقول صديقه الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي (ت ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م): «إن مجد الشيخ سليمان إنما اكتسبه بالسيف، وما يُكسب بالسيف يبقى أبَدَ الدهر لَمَاعًا كالذهب».

من منجزاته الثقافية: إنشاؤه مطبعة الأزهار البارونية بالقاهرة سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، وهي أوَّلُ مطبعة يؤسسها لِيَبْيَ بِمِصْرَ. وتأسيسه لجريدة «الأسَد الإسلامي» في مصر سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، وإنشاؤه جريدة «الباروني» بإسطنبول؛ مُخَصَّصَةً للقضية الليبية عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م. وله من الكتب: تعليقاتٌ على «سُلَّم العامَّة والمبتدئين» (مطبوع) و«مُختصر تاريخ العائلة البارونية» (مخطوط) وكتاب «الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية» جزآن، طُبِعَ الثاني منهما. وديوانُ شعر (مطبوع) مع مقالاتٍ عديدة منشورة في الصحافة العربية. وكان يُعَدُّ لِمَجْمَعِ كتابٍ يتحدث عن «تاريخ الحُرْب في طرابلس الغرب» غير أنَّ الظروف لَمْ تُسَعِّفه، وبقيت مُسَوِّدَاتُهُ دون تبليغ أو ترتيب.

ارتبط بعلاقات واسعة مع القادة والسَّاسة والعلماء في أنحاء العالم، وزار مُختلف بقاع العالم العربي والإسلامي، واستقبله بعضُ ملوكه: كسلطان العثمانيين، وشريف مَكَّة، وخديوي مصر، وإمام عُمان، وسلطانها،

وملك العراق. وسعى إلى إنشاء «جامعة إسلامية» لتوحيد كلمة المسلمين. توجه آخر عمره إلى مُبَي (Mumbai) بالهند للعلاج، ولم يَعِش فيها سوى ساعات قليلة حتى شلّ عن الحركة، وفيها توفّي ودُفن. ثم نُقِلَ جثمانه إلى طرابلس سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

وكانت أول مرة يحطّ فيها رحاله بعمّان أواخر ذي الحجة ١٣٤٢هـ / أواخر يوليو ١٩٢٤م، عندما وقّفت به الباخرة قادمةً من الحجاز في ميناء مسقط، واستقبله وزراء حكومتها نظرًا لكون السلطان تيمور بن فيصل (١٣٣١- ١٣٥٠هـ / ١٩١٣- ١٩٣٢م) غائبًا في الهند، كما أرسل له الإمام محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي (١٣٣٨ - ١٣٧٣هـ / ١٩١٩- ١٩٥٤م) رسالة ترحيبية من مقر إمامته في نزوى.

ثم عزّم الباروني على السياحة في دواخل عُمان، فخرج من مسقط أواخر صفر سنة ١٣٤٣هـ / أواخر سبتمبر ١٩٢٤م، واستمرت سياحته في عمان وحواضرها لمدّة أربعة أشهر ونصف تقريبًا، حتى شهر رجب ١٣٤٣هـ / فبراير ١٩٢٥م. ثم ساح سياحةً ثانية بدأت غرّة ذي الحجة سنة ١٣٤٣هـ / يوليو ١٩٢٥م، وانتهت أواخر شعبان ١٣٤٤هـ / مارس ١٩٢٦م.

استقر الباروني بعمّان متنقلاً بين بلدان الساحل والداخل، حتى غادرها للعلاج إلى العراق أوائل سنة ١٣٤٨هـ / أواخر سنة ١٩٢٩م ومكث قرابة أربعة أشهر ثم رجع. وقد لحقت به أسرته من طرابلس في ليبيا للإقامة بعمّان سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م، غير أن أفراد الأسرة أصيبوا بالمalaria، وما لبثت أمُّ زوجته أن توفّيت فور وصولها يوم ٢٦ شعبان ١٣٥٠هـ / ٥ يناير ١٩٣٢م،

فمكث بِمَسْقَطٍ قليلاً، ثم سافر في صفر ١٣٥١هـ/ يونيو ١٩٣٢م إلى بغداد مرة أخرى لعلاج عائلته، ورجع إلى عُمان وَحْدَهُ بعد سنة كاملة.

وسعى خلال تلك المدة إلى البحث عن مستقر كريم لعائلته، فلم تفلح جهوده، وتركهم في بغداد مؤقتاً؛ خاصّةً بعد أن استطاع إلحاق ابنه إبراهيم بكلية الحقوق في بغداد، وظل يتردّد بين مسقط وبغداد مراراً للاطمئنان عليهم، إلى سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م إذ أحضر عائلته من بغداد في ربيع الآخر/ مايو، عازماً على الاستقرار بِمَسْقَطٍ بعد تحسّن أحوالهم، غير أن المرض اشتدّ عليه هو هذه المرّة، فغادر برفقة السلطان سعيد بن تيمور وعدٍ من حاشيته إلى الهند للعلاج، وهناك فارق الحياة يوم ٢٣ ربيع الأول ١٣٥٩هـ/ ١ مايو ١٩٤٠م.

وهذه المقالة التي أنشرها اليوم مقتبسة من العدد الخاص لمجلة (الهداية) تحت عنوان: «ذكرى ١٢ ربيع الأول لسنة ١٣٥٣هـ»، وقد وقفتُ على نسخة أصلية منه في خزانة الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري (ت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، وفي صدرها بخط الباروني إهداءً قال فيه: «لحضرة العلامة الرئيس الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري؛ المحترم».

لحقة العلامة الرشد الشيخ الهميد ~~العبدي~~ المحترم

رَبِّكَ

١٢ ربيع الأول

لسنة ١٣٥٣

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ وَفِي الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَتَنَاءُ
الرُّوحِ وَالْمَلَأَ الْمَلَأُكَ حَوْلَهُ لِلدِّينِ وَالْذِّيَابَةِ بُشْرَاءُ
وَالْعَرِشِ يَرْحُو وَالْخَطَرَةُ رَدِّي وَالْمُنْتَهَى وَالْمُسْتَدْرَةُ الْعَصَاءُ
اسْمُ الْجَلَالَةِ فِي بَدْعِ حُرُوفِهِ أَلْفٌ هُنَا لَكَ وَاسْمُ طَلَبِ الْيَاءِ

اصدرتها جمعية الهداية الاسلامية في بغداد

رئيس التحرير المسؤول

محمد جمال الدين

مطبعة بغداد

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

لحضرة صاحب السعادة سليمان باشا الباروني

الرؤم الطرابلسي الشهير

اما بعد ايها السادة

فان جمعية الهداية الاسلامية المحترمة قد اقامت هذا الاحتفال لاحياء ذكرى مولد رسول الله الى العالمين مولى العرب والعجم سيدنا محمد بن عبد الله القرشي الامي صلى الله عليه وسلم وهي عادة محمودة ابتكرها هذه الجمعية الجليلة في هذه البلاد عملا بقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فجازاها الله عن الاسلام واهله خيرا .

جرت العادة في مثل هذا الاحتفال عند كل الامم أن يقام الخطباء والشعراء في ذكر فضائل المحتفل به وظهروا من اياه التي امتاز بها وأهلبته للاحتفال به والتواضع به بذكره ذلك لأن الانسان من طبعه الميل الى الشهوات وفي اتباع الشهوات كل محذور وبلاء وقل من الناس من تغلب على شهواته فردع نفسه عن الموبقات وحملها على الاتصاف بما هو محمود عند الله وعند الناس واستحق الثناء ولهذا عد بعضهم التغلب على النفس من الجهاد الاكبر وروي في ذلك حديث لفته . (ص) . وقد قال تعالى . ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي . وعلى ذلك جاء قول شاعرنا الحكيم .

المسلمين — الا التاجر — يستند اليهم في اثبات ملكه وبقائه حكمه و يدين لهم بالطاعة والولاء — والله الامر من قبل ومن بعد — فهل يستيقظ المسلمون من سباتهم وينفضون غبار السكسل والحول والخنوع — ويدفنون شهوة الانانية (الامر وحسب الذات) والتفريق والتخاذل ويعملون عار الولاء والخضوع للاجنبي — ويبعثون الخلافة من مرقدها وبيدون لها ما كان لها من هبة وصوله وقوة ونفوذ وتأثير بحيث يكون جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها و جنوبها وشمالها تحت راية واحدة ومتفقين حول امام واحد فان الشرع يحرم تعدد الخلافة — بل يجب شرعا أن يكون الخليفة واحدا لجميع المسلمين — مما تباعدت اقطارهم واختلفت مذاهبهم — وبذلك يغير المسلمون ما بهم من ذل وظلم وفسوق فيغير الله حالهم الى عز وعدل واستقامة وحيث يترددون يمدحهم الضائع وحر يهزم السابو واستقلالهم المنقصب — وليس ذلك التغير بالمستحيل بل هو الممكن السهل متى صحت النيات وصدقت العزائم وتغلب الاخلاص وقوي الرجاء في الله مع الاخذ بالاسباب مصداقا لقول الله عز وجل (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا) واما بأنفسهم — وقوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا واما بأنفسهم) والله الموفق لما فيه الصواب ؟ يا امة الاسلام تدبروا قوله تعالى (لقد كانت لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)

مفتي الديار المصرية سابقا

محمد نجيب المطيعي







سليمان الباروني قبل وفاته بأشهر، مع حفيديه طارق (يمين الصورة) وعز الدين (يسار الصورة)

وقل اعملوا

فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

لحضره صاحب السعادة: سليمان باشا الباروني
الزعيم الطرابلسي الشهير

أما بعد أيها السادة

فإنّ جمعية الهداية الإسلامية المحترمة قد أقامت هذا الاحتفال لإحياء ذكرى مولد رسول الله إلى الثقلين، مولى العرب والعجم، سيدنا محمد بن عبد الله القرشي الأُمِّي ﷺ، وهي عادة محمودة ابتكرتها هذه الجمعية الجليلة في هذه البلاد، عملاً بقوله ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلِيهِ وَزَرُّهَا وَوزر من عمل بها إلى يوم القيامة». فجازاها الله عن الإسلام وأهله خيرًا.

جرت العادة في مثل هذا الاحتفال عند كل الأمم أن يتبارى الخطباء والشعراء في ذكر فضائل المُحتفلِ به، وإظهار مزاياه التي امتاز بها، وأهليته للاحتفال به والتنويه بذكره، لأن الإنسان من طبعه الميل إلى الشهوات، وفي اتباع الشهوات كلُّ محذور وبلاء، وقَلَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ تَغَلَّبَ عَلَى شَهَوَاتِهِ فَرَدَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْمَوْبِقَاتِ، وحملها على الاتصاف بما هو محمود عند الله وعند

الناس، واستحق الشناء، ولهذا عَدَّ بعضهم التغلَّبَ على النفس من الجهاد الأكبر، ورُوي في ذلك حديثٌ عنه ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، وعلى ذلك جاء قول شاعرنا الحكيم:

وَالنَّفْسُ كَالظُّفْلِ إِنْ تُهْمِلَهُ شَبَّ عَلَى

حُبِّ الرِّضَاعِ، وَإِنْ تَفْطِمُهُ يَنْقَطِمُ

وإذا كنا في هذه الليلة محتفلين بذكرى مولد سيدنا محمد خاتم

المرسلين؛ فما الذي يجب علينا أن نذكره من فضائله التي لا تحصى؟

إنَّ كل ما يمكننا أن نقوله في حقه هو قطرة من بحر لا ساحل له،

وَدَرَّة من ذرات الكون كله، فلا يسعنا إلا أن نتمثل بقول العلامة الأَبُوصَيْرِيِّ

إذ قال - ولله قوله -:

دَعُ ما ادَّعَتْهُ النصارى في نبيِّهم

واحْكُم بما شئتَ مدحًا فيه واحتكِم

أيها السادة:

إنَّ حكاية مولده ﷺ، وحياته الطاهرة، ومعجزاته الباهرة، وجهاده

العظيم في سبيل إعلاء كلمة الله التي أُرْسِلَ بها؛ قد سارت بها الركبان،

وَعَمَّتْ الآفاق، وقد أتى حضراتُ الخطباء الفطاحل الذين تقدموني على هذا

المنبر بما يشفي العليل ويروي الغليل.

لهذا استحسنْتُ أن آتي الموضوعَ من بابٍ غير الباب المألوف، حتى لا يحصل تكرار، ولأتحدث عن أمورٍ مناسبة للمقام نحن في حاجة إلى التحدث عنها وإلفات الأنظار إليها.

إن سيدنا محمدًا قد أمره ربه أن يُبلِّغ رسالته إلى عباده، فقال له في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨].

وقد علَّمه مع ذلك طريقة التبليغ؛ على الوجه الذي يكفل له النجاح، ويتَّوجه بالنصر، فأمره باللين والتساهل في ابتداء دعوته، حيث كان ولا ناصر له غير ربه، فكان يجيب معانديه من المشركين عبدة الأوثان والأصنام بقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٢-٥]، وقوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

لكنه بعد أن اشتدَّ ساعده وكثر أنصاره، وآنس من نفسه قوةً، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٥]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩]، وقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ

مِّنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴿[التوبة: ١٢٣]؛ جَرَدَ سيفه في تأييد
دعوته، فَعَمَّ الرعبُ أعداءه، وسار النصرُ أمامه، إلى أن سطع نور الله في الآفاق
كما فَصَّلَ ذلك المؤرخون.

وحيث إنه تعالى قَرَنَ طاعة محمد بطاعته في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٨]، وَقَرَنَ معصيته بمعصيته في قوله: ﴿وَمَن يَعِصِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:
١٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣]،
وكان ﷺ المثل الأعلى في مكارم الأخلاق كما وصفه ربه في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى
خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]؛ وَجَبَ علينا أن نسير بسيرته، ونقتفي آثاره في كل
أعمالنا، خصوصًا مع أعدائنا، فنقابلهم باللين أولاً كما فعل هو، إلا أن هذا
الدور قد انتهى - مع الأسف - بدون فائدة، فإننا لِنَّا لهم حتى صِرْنَا أَلْيَنَ من
الزبد وأحلى من العسل، ومددنا لهم أَكْفَنَّا فقبضوا على أكتافنا، وَلَعَفُونَا لَعَفًا،
وامتصُّوا دماءنا مَصًّا، وحافظوا علينا لكننا جلودٌ على عظام! وغضبوا منا كل
شيء حتى حرية الكلام.

وَلَمَّا لَمْ يُشْبِعْهُمْ ذلك تَسَلَّطُوا على البيت المقدس وهو من أكبر
مقدساتنا، قبلتنا الأولى وثالث الحرمين الشريفين. ولمضاعفة إهانتنا وإرغام
أنوفنا سَلَّمُوهُ لأحقر الأمم؛ التي كتب الله عليها الذلة والمسكنة إلى يوم

القيامة، وزودوهم بالأموال والسلاح لإجلائنا منه، فأحيوا بذلك زوبعة الحروب الصليبية الأولى.

ولكننا لا نياس، فسيبعث الله لها صلاح الدين الثاني من حيث لا نحسب، من غير ملوكنا الذين قيّدوهم بسلاسل المعاهدات والقروض المالية على كل حال، فها هي اضطرابات البراكين تَقَرَّعُ آذاننا، مُؤَذِّنَةٌ بأن ساعة الانفجار آتية لا ريب فيها، فعند ذلك تَلِدُ الأيام لنا رجال العمل الذين يَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الكتف، ولا ينخدعون مرة ثانية، إذ لا يُلْدَغُ المؤمن من جُحْرِ واحد مرتين، وكلُّ آتٍ قريبٌ.

سادتي:

لم يبق لنا بعد اليوم - وعندنا للعمل بقيّة مجال - إلا أن نتدرّع بالشدة، وننتقل إلى القسم الأول من الدور الثاني من أدوار قائد الحرية الأعظم، منور البصائر بهديه، وحاصد رؤوس الجبابرة بمُهَنِّدِه، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ولا أعني بالشدة الثورة والقتال في الحال، وإنما أعني التمسك بحقوقنا بصورة لا يعترينا معها مَلَلٌ ولا فشل، ولا يُسَارُونَا فيها خَجَلٌ ولا وَجَل، ولا يُخَامِرُنَا شَكٌّ ولا طمع.

حتى إذا انتهى هذا القسم - وهو غير طويل؛ لأنَّ الزَّلْزَلَةَ على الأبواب - ولم يأت بنتيجة كاللور الأول؛ دخلنا في قسمه الأخير معتصمين بالله تعالى، بائعين أنفسنا له؛ فداءً لديننا المهان، وشرفنا المنتهك، وملكننا المحطم، ممثلين قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ

وَالْأَنْحِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿[التوبة: ١١١]، وقوله ﷺ: «الجنة تحت ظلال السيوف». رافعين أصواتنا بقول شاعرنا العربي:

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب
ولا شك في أن الله سيكون معنا؛ لأنه يقول: ﴿وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١]، ويقول: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]، وقال: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمُ الْوَاضِلُ أَعْمَالُهُمْ﴾ [محمد: ٧-٨].

إلا أن هذا وحده لا يضمن لنا التوفيق التام الذي نطلبه، إلا إذا اقتفينا آثاره ﷺ قولاً وفعلاً، ممثلين قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]، وبرهناً على أننا رجال أقوال وأفعال، لا أقوال فقط، وإلا صرنا من الذي وَجَّههم الله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

وذلك أن نمثل ما أمرنا الله به على لسانه ﷺ، فنؤمن به، ونقيم الصلاة، ونؤدي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج إلى البيت الحرام عند الاستطاعة، ونجاهد في سبيل إعلاء شأن ديننا ومُلْكنا، وذلك بالاستعداد بكل ما يستعد به العدو العظيم لِعُدُوّه؛ من علم ومال وصحة وصناعة

وجندٍ، وسلاحٍ من قعر البحر إلى قبة الهواء، من غواصة إلى طيارة وغاز خانق، ولا يكفي أن نشترى ذلك بالمال؛ لأن المال ينضب، والبائع قد يمتنع من البيع، بل يجب أن نصنعه بأيدينا، في معامل لنا، ومن معادن أوطاننا، امثالا لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأن تنتهي عما نهانا الله عنه على لسانه ﷺ، فنهجر الزنا، ونجتنب الخمر، ونتباعد عن الربا، ونتنزه عن الظلم، وخيانة الوطن، والجبن وتحمل الذل، وتُخْلِصُ الأخوة في الله، ونُعَظِّمَ حرَمَاتِ الله، ونطلب العلم من المهد إلى اللحد، ولا نكون كسالى كما أوصى بذلك المرشد الأعظم ﷺ.

فإذا اتصفنا بهذا - وهو خفيفٌ على مَنْ له إخلاصٌ واعتناء - نُصِرْنَا بإذن الله، كما نُصِرَ أصحابه ﷺ مِنْ بَعْدِهِ وَهُمْ فِي قِلَّةٍ عَدَدٍ أَوْ عُدَّةٍ بِالنسبة إلى أعدائهم الروم والفرس؛ الأقوياء في كل شيء غير الإيمان بالله.

إلا أننا إذا تتبعنا سيرتنا، ونظرنا إلى أعمالنا وأخلاقنا؛ وَجَدْنَا أَنْفُسَنَا مَجْرَدِينَ مِنْ أَكْثَرِ مَا ذَكَرْنَاهُ، فَالْأَمْرُ الْإِلَهِيَّةُ مِنْبُذَةٌ وَرَاءَ ظَهْوَرْنَا، وَالْمَنَاهِي تُرْتَكَبُ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ وَعَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَتُنَوِّسِي الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى أَصْبَحَ فِي الْمَصَنَّفَاتِ الدِّينِيَّةِ اسْمًا بِلَا مَسْمَى، كَبَابِ الرَّقِيقِ وَالْعَتَقِ.

وقد اندفعنا في تيار قبائح التَّفَرُّجِ إلى درجةٍ يستقيحُها عقلاءُ الإفرنج أنفسهم. انتشر التَّبَرُّجُ بين نساينا باسم السفور، حتى أصبح بعضُهن عارياتٍ بصورةٍ تَجَلُّ منها الغريباتُ في بلادهن. وهل بَعْدَ هذا من عار؟

وقد هُجرت الدور والمساجد، وعُمرت الفنادق المشحونة بأنواع الرذائل، وامتلات دُورُ اللهو التي يختلط فيها الحابل بالنابل، ولا يخرج منها داخلُها ذكراً أو أنثى إلا وهو مُجَرَّدٌ مما فيه رائحةُ الكمال، حاملٌ بين جَنَبِيهِ كُلِّ خاطرةٍ فسقٍ وفجور، مُلَوَّثٌ بمحشرات الأمراض الفتاكة السارية.

وتوغَّلنا في تقليدهم في الخبائث لا في الأعمال النافعة، حتى فَشَا فينا داءُ الانتحار الذي ما كان الشرُّ يعرفه، والدينُ الإسلامي يُحرِّمُه، وهو دليل جليٌّ على الجبن المتناهي، وضعف الإرادة الواهية، وخِسَّةِ تلك النفس الساقطة، وسوء الخاتمة، لأن الله تعالى يقول - وهو أصدق القائلين -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝ فَمَنْ نُسِلِهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩-٣٠]، وقال: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]....^(٢)

ولو تَفَكَّرَ هؤلاء الغافلون في الإفرنج الذين يُقَلِّدُونهم في قبائحهم خاصةً لَوَجَدُوا بين رجالهم المشهورين وعلمائهم وحكمائهم ومخترعيهم مَنْ

(٢) الكلمة أطول من هذا بكثير، اقتصرْتُ على هذا القدر منها لأن الباروني استطرد إلى ذكر موضوعات متشعبة وأطال الحديث فيها.

يقول ويكتب في الله تعالى وفي محمد ﷺ من الاحترام والتقديس ما يجعلهم في خَجَلٍ مُدَّةَ حياتهم.

ولو صَرَفُوا قليلا من أوقاتهم في مطالعة الكتب والرسائل الإسلامية - كمجلة (الهداية) الغراء التي تُصدرها هذه الجمعية المجاهدة، ورسالة (الوحي المحمدي) للسيد رشيد رضا، وأمثالهما - لَتَفَتَحَتْ بصائرهم، وخرجوا من الظلمة إلى النور، فَإِنَّ فيهما من الدلائل القاطعة ومن شهادات علماء الإفرنج للدين الإسلامي ولمحمد عليه الصلاة والسلام ما يُفْجِمُ كل معاند، ويهدي كل جاحد. لكنهم مُعْرَمُونَ بمجلات الخلاعة المصوّرة، وروايات السفاهة، ويُنفقون ذكاءهم المتوقد ووقتهم الثمين في سفاسف الأمور، وأولياؤهم عنهم غافلون أو متغافلون!